مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 11 عدد: 3 السنة: 2022
ص: 144 - 157 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

العلاقة الجدلية بين اللغة والهوية.

The dialectic relationship between language and identity

يسمينة عمارة *

yasmina .amara

جامعة الحاج لخضر باتنة-1- الجزائر

university Batna1 Hadj Lakhdar – Algeria

yasmina.amara@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2022/02/26	تاريخ القبول: 2022/05/17	تاريخ النشر: 2022/09/02

ملخص البحث

تمثل اللغة هوية الأمم والشعوب والمعبرة عن ثقافتها الاجتماعية، والمقياس الذي يُعرف به مدى تقدم وانحطاط الأمم، كما تُعدُّ المكون الأساس في بنية الهوية الوطنية، فهي لا تقتصر على التواصل فقط وإنما هي ذلك الوعاء الذي يحمل التراث والثقافة والفكر والرابطة بين الحاضر والماضي، ولا يمكن الاستغناء عنها لأنها الوسيلة التي بها تحفظ المعارف والعلوم، والمكون الرئيس للمفاهيم الذهنية والعقلية للإنسان والسبيل الأنجع لمعرفة ذاته ومحيطه، وبها تتحقق الهوية اللغوية والاجتماعية والثقافية، والتي هي نتاج اللغة والبيئة والتاريخ.

أما الهدف من البحث فهو السعي إلى معرفة طبيعة العلاقة بين اللغة والهوية والدين، ويتم ذلك من خلال التطرق لماهية الهوية والتي تتجسد بفعل عامل اللغة والدين والمجتمع والتاريخ، واستظهار طبيعة العلاقة بينهما، والتي يحكمها طابع التأثر والتأثير، فاللغة كيان يحفظ المجتمع ويفسر الدين ويقوي الهوية، وقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي لكونه يتناسب مع هذا البحث.

الكلمات المفتاح: العلاقة؛ اللغة؛ الهوية؛ المجتمع؛ الثقافة؛ التأثير.

Abstract :

Language represents the nations and peoples' identities. It also expresses their social cultures. It's considered as the measurement through which the nations development or decay are known. Language enjoys a specific feature proving the difference between a nation and another. It's also considered as the main component in the national identity structure. It isn't limited to communication, it carries heritage, culture and intellectuality, and connects between past and present. It's the

* يسمينة عمارة: yasmina.amara@univ-batna.dz

nonnegligible mean through which sciences and knowledge are preserved. It represents the key component of man's cognitive concepts and his useful way to know his ego and environment. It achieves the social, linguistic and cultural identity, which is the result of language, environment and history.

This research objective is to identify the relationship nature between language, identity and religion. This is done through addressing identity definition, which is figured out due to language, religion, society and history factors, and show the dialectic relationship between them, which is governed by influence nature. So, language is an entity preserving society, interpreting religion and strengthening identity. The descriptive analytical method has been used, since it's appropriate to this research.

Keywords: language, identity, society, culture, influence, relationship.

مقدمة:

اللغة ومؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الأمم، وأداة للتفكير تمكن المرء من الشعور بذاته والاتصال بغيره، وتؤدي وظيفة مهمة في الحياة الإنسانية، وهي الوظيفة التواصلية، وهي الناقلة لتراث الآباء والأجداد، والجسر الواصل بين الماضي والحاضر، إذ تُعدُّ الملاذّ الحقيقي لتقدم الشعوب ورقي الحضارات، وبحكم التواصل يستمر التفاعل والتطور والازدهار للمجتمعات والأمم، فالتواصل ذلك " الميكانزيم الذي بواسطته تُوحد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمن رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضاً الإشارات وتعابير الوجه وهيئات الجسم ونبرة الصوت والكلمات والكتابات"[1]

والهوية هي اجتماع كل من الدين المتمثل في العقيدة، واللغة المحددة بالوسيلة الأساسية للعلاقات الإنسانية، والبيئة الاجتماعية التي تؤثر في الفرد، والتاريخ الذي يُعدَّ السجل الحضاري للأمة، وهي الشعور بالانتماء الاجتماعي والثقافي للمجتمع، فتجعل الفرد يستعمل ثقافته ويتحرك فيها فيشعر بالذاتية التي تميزه عن غيره، كما تجمع بين الأفراد المتشابهين، من خلال التواصل بعامل اللغة التي تعكس صورة الهوية والثقافة المجتمعية، بفعل الألفاظ والمفردات والتراكيب، والدقة في الإفصاح والتعبير.

تكمن أهمية الموضوع في إبراز التفاعل الإيجابي الراقي الذي تحققه اللغة في العملية التواصلية، إذ يقتضي التواصل المستمر التعاون بين الناس من أجل حياة اجتماعية يسودها الهدوء والاحترام ، ومن أجل نقل الأفكار وتبادل الخبرات بين أفراد المجتمع الواحد ويتحقق هذا بفعل عامل اللغة، فما علاقة اللغة بالهوية؟ وكيف تؤثر في الفرد وفي تكوين هويته الاجتماعية والدينية؟

أما الهدف من البحث فيتمثل في معرفة مكانة اللغة وأهمية وجودها في المجتمع، ومعرفة وظيفتها الفكرية والثقافية والاجتماعية، في تجسيد الهوية الذاتية والجماعية والتعريف بهما، فاللغة من المقومات الأساسية والجوهرية لهويات الأفراد والمجتمعات، ووسيلة للتعايش السلمي بين الشعوب من خلال خلق الحوار وروح التفاهم بينهم.

1- علاقة اللغة بالمجتمع:

من المعاجم التي تناولت تعريف اللغة لغة نذكر معجم الوسيط حيث أورد تعريفاً لغوياً للفظة اللغة فيقول: اللغة " من لغا في القول لغوا: أي أخطأ، وقال باطلا، ويقال: لغا فلان لغوا: أي أخطأ، وقال باطلا، ويقال: ألغى القانون، ويقال: ألغى من العدد كذا: أسقطه، والإلغاء في النحو: إبطال عمل العامل لفظاً ومحلاً في أفعال القلوب مثل ظن وأخواتها التي تتعدى إلى مفعولين، واللغا: ما لا يعتد به، يقال: تكلم بالغا ولغات ويقال سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم، واللغو: مالا يعتد به من كلام وغيره ولا يصل منه على فائدة ولا نفع والكلام يبدر من اللسان ولا يراد معناه"[2]، وقال الكفوي:" اللغة أصلها لغى، أو لغو جمعها لغى ولغات"[3]، وذكرها الفيروز آبادي في مادة لغو بالواو وجمعها على لغات ولغون"[4]، من خلال هذه التعريفات يبدو أن لفظة(لغا)، قد استحوذت على عدة معاني وهي الخطأ في القول، والإبطال، والاختلاف في الكلام، والحديث غير النافع الذي لا يُعتد به لكونه لا يصل إلى الفائدة المرجوة، وعمومًا فإن المعنى اللغوي للغة هو النطق والكلام.

تعددت تعريفات اللغة اصطلاحاً عند علماء اللغة ونذكر منها:

تعريف ابن جني إذ يقول:" أما حدها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[5]، من خلال التعريف يتضح أن الجانب الصوتي خاصية مشتركة عند جميع اللغات، وأنها أداة للتواصل بين الأفراد فهي بهذا تحدد الوظيفية الاجتماعية بين الأفراد، وتختلف باختلاف الألسن والمجتمعات، لأن لكل قوم لغته الخاصة التي تميزه وينفرد بها عن غيره، كما ترتبط بهم وتنتج عنهم وتؤثر وتتأثر بهم.

وعرفها ابن تيمية بقوله:" بأنها اداة تواصل وتعبير عما يتصوره الإنسان ويشعر به، وهي وعاء للمضامين المنقولة سوار أكان مصدرها الوحي، أم الحس، أم العقل، وهي أداة لتمحيص المعرفة الصحيحة، وضبط قوانين التخاطب السليم"[6]، إذاً فاللغة عنده أداة للتعبير والإفصاح عما يجول في خاطر الفرد وفي العقل، وهي ناقلة للمعاني والمعارف، واللغة لا تحكمها الاعتباطية في التواصل، إنما هناك قوانين لضبط التخاطب السليم.

أما أنيس فريحة فيربطها بالطابع الاجتماعي الثقافي فيقول:" بأنها ظاهرة سيكولوجية، واجتماعية وثقافية ومكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، وتتألف من مجموعة رموز صوتية، واكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقررة من الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تسطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل"[7]

فبنية أيّ لغة من اللغات تكون ذات وثيقة بعقلية المتكلمين بها، وبنظمهم وحضاراتهم، فاللغة أعظم القوى التي تجعل من الفرد كائناً اجتماعياً، وتجعل نظرته للكون مضبوطة باللغة التي يتكلمها؛ لأنها الرابطة الحقيقية بين عالم الأحياء وعالم الأذهان."[8]

وقد بيّن عالم محمود خاصية الوعي الذي يُميّز الانسان عن باقي المخلوقات فيقول:" اللغة ليست مجرد أداة أو وسيلة للتعبير أو للتواصل، أو مجرد شكل لموضوع، أو مجرد وعاء خارجي لفكرة أو لعاطفة أو إشارة إلى فعل، إنها وعي الإنسان بكينونته الوجودية، وبصيرورته التاريخية، وبهويته الذاتية والاجتماعية والقومية وكليته الانسانية، إنها السجل الناطق بهذه الأبعاد جميعاً "[9]، فهي بذلك اللسان الناطق للشعوب والمرآة العاكسة للأفكار، والمحددة للانتماء الاجتماعي والقومي للفرد، الذي يلتزم بالشروط اللغوية التي تحكم نظام اللغة.

فالمجتمع عبارة عن جماعة من الناس تحكمهم عادات وتقاليد متفق عليها يخضعون لها جميعًا، وتربطهم علاقات منظمة ومصالح مشتركة، وهو في نظر مالك بن نبي" الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسع إليه من وراء هذا التغيير"[10]، وهو" الذي يقوم بوظيفة نحو الفرد ليحقق راحة الفرد، فإنه لا بُد نفهم معناه فهمًا دقيقًا، فهو ليس عدد من الأفراد، وإنما هو شيء خاص، هو بُنيان وليس تكديسًا من الأفراد، بُنيان فيه أشياء مقدسة متفق عليها"[11]، فالمجتمع هو الميدان الذي يظهر فيه الفرد ليجد فيه كينونته وراحته، وهو لا يُقاس بعدد الأفراد إنما بتلك العلاقة التي تجمعهم وتوحدهم، والتي تقوم على أسس وركائز صحيحة من ثوابت وعادات وتقاليد مقدسة.

ويضيف قائلاً:" فهو ليس مجرد مجموعة من الأفراد بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقاً لنظام معين" [12]، وفق قيم عامة يلتزم الأفراد بالتقيّد بها وعدم الخروج عن أُطروها وقوانينها التي سنَّها المجتمع، ومن أجل الرقي والتحضُّر لا بد من التغيير " فإن كل جماعة لا تتطور، ولا يعتريها تغيير في حدود الزمن، تخرج بذلك من التحديد الجدلي لكلمة (مجتمع)" [13]، يعني لا بد من ضرورة التغيّر والتطور وذلك للخروج من دائرة الجمود الذي هو عكس نمطية المجتمع الذي يتسم بالحركية.

إذاً فاللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع فتحكمها علاقة قوية ومتينة به، إذ تسهم في تطوره وتوحيده والارتقاء به، وتكمن علاقة اللغة بالمجتمع على حد تعبير عماد حاتم في كونها:" وسيلة التفاهم بين البشر يكتسبها الإنسان من محيطه الذي يعيش فيه، فهي لا تولد بولادة الإنسان، ولا ترتبط بخصائصه البيولوجية، أو العرقية، بل هي ظاهرة تخضع للشروط التي يعيشها المجتمع الإنساني، وهي تنعدم وتتلاشى بانعدام ذلك المجتمع"[14]، وتعمل اللغة على تحديد العلاقة بين الفاعليين الاجتماعيين من خلال المساهمة في تكوين ثقافة الفرد والمجتمع، فتكون لها القدرة على تنشئة الفرد اجتماعياً، فهي بذلك تشكل عنواناً للانتماء الاجتماعي والذي يسعى إليه الفرد في تحقيقه.

" فلا شك أن اللغة هي دليل هوية المجتمع، ومن أهم العناصر التي تعمل على توحيد ذلك المجتمع... فاللغة العربية لها دور أهم من أية لغة قومية أخرى، فهي عنصر يعمل ليس على توحيد أفراد المجتمع في وحدة سياسية واحدة كقطر من الأقطار، أو دولة من الدول، ولكنها تسطيع أن توحد بين أبناء الأمة العربية جميعها"[15]، فاللغة أداة للإفصاح عن هوية الأفراد والحفاظ عليها، وخلق الروابط الاجتماعية بينهم بحكم التعايش السلمي، الذي يفرض عليهم التقيّد بالنظام الاجتماعي، لأن هوية الفرد هي امتداد لهوية الأمة وذلك عندما يشعر بماهية الانتماء داخل المجتمع.

2- المجتمع والهوية الدينية:

جاء في لسان العرب:" قال ابن الأعرابي: هُوِيَّة أراد أَهْوِيَّة فلما سقطت الهمزة رُدت الضمة إلى الهاء... وفي الحديث: إذا عرستم فاجتنبوا هُوِيَّ الأرض وهي جمع هوة وهي الحفرة والمطمئن من الأرض"[16] ، وفي المنجد:" الهوية (هو) ضمير للغائب المفرد المذكر، ويقال للمثنى (هما) وجمع المذكر (هم) ويقال للمؤنث المفرد (هي) وللمثنى (هما) وللجمع (هنَّ)، والهوية: حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية وذلك منسوب إلى(هُوَ)، والهُوْ هُوْ: لفظ مركب من هُوَ هُوَ، جُعِل جُعِل، اسماً معرفاً باللام ومعناه: الاتحاد بالذات."[17]

وفي الاصطلاح عرفها علماء الكلام بقولهم:" أنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النُّواة على الشجر في الغيب المطلق"[18]، وفي شرحهم للمعاني يرون أنها:" الصورة الذهنية من حيث أنه وضع بإزائها الألفاظ والصورة الحاصلة في العقل من حيث أنها تقصد باللفظ تسمى مفهوماً، ومن حيث ثبوته في الخارج سميت حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأغيار تُسمى هوية"[19]، فالتعريفات كلها متقاربة من حيث المعنى العام الذي تحمله لفظة الهوية.

فالهوية " مصطلح استعمله العرب والمسلمون القدماء، وهو منسوب إلى هو، وهذه النسبة تشير إلى ما يحمله من مضمون...وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول أن الهوية الحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الأمم والحضارات والتي تجعل للشخصية القومية طابعاً تتميز به عن الشخصيات القومية الأخرى"[20]، فالهوية اجتماع وتشاكل العوامل الدينية والثقافية واللغوية، والصبغة التي تصطبغ بها الشخصيات القومية وتميزها عن غيرها، وبها يتم التمييز بين الحضارات والأمم.

كما أن الهوية الاجتماعية l'identité sociale: تشير إلى مجموعة المعايير التي تسمح بتعريف فرد ما أو جماعة ما على نحو اجتماعي، وهي بالتالي المعايير التي تسمح للفرد باستحواذ وضعيته الخاصة في إطار مجتمعه، وبعبارة أخرى تعني الهوية الاجتماعية السمات والخصائص التي تضفى على الفرد من قبل عدد كبير من الأفراد الآخرين والجماعات الأخرى في المجتمع(ويمثل ذلك إحدى مؤشرات تماسك الهوية الثقافية)، وهي هوية اجتماعية معروفة من قبل ممثلها الذي يوافق ويشارك في الحياة الاجتماعية عبر انتماءاته الاجتماعية المتنوعة"[21]، فالهوية إذاً تشمل على المعنى الذي يدل على الاختلاف والامتياز، وهي الطابع الذي يُحدد خصوصية الفرد والمجتمع بما يحمله من قيم تجعله يختلف عن غيره.

إنّ " الدين من أهم القُوى في خلق التماسك الاجتماعي، والتماسك الاجتماعي أهم ما يحفظ به بناء الاستقلال"[22]، والدين ثروة قومية وهو عماد من عُمد الاستقلال، لأنه يصحح ضمير الفرد، والفرد الصحيحُ الخُلُقِ ليس إلاَّ حجراً سلمياً في بناء القومية"[23] ، فالدين يخدم اللغة العربية خدمة لغوية وليس من الإسراف أن نحكم بأن حياة اللغة بين الأهلين ترجع إلى حفظ القرآن وتلاوته في المأتم والأفراح، وللمدائح النبوية فضل في إذاعة النصوص الأدبية والألفاظ اللغوية"[24]، فالدين يمثل الوعي الجماعي وصورة العقائد التي يمارسها الفرد ويحيا بها، واللغة حاجة اجتماعية وأداة للتحصيل المعرفي واكتشاف الواقع والمحيط.

يقول مالك بن نبي:" فنفسية الفرد في المجتمعات التاريخية على الأقل مفعمة بالنزعة الدينية، تلك التي تعد جزءاً من طبيعته، وهو ما جعل علم الاجتماع يقول في تعريف الإنسان بأنه (حيوان ديني)، وهو بذلك يحدد جانباً من الأساس النفسي العام في أفراد النوع، وكل فرد يبني شخصيته الخاصة على هذا الأساس"[25]، فالإنسان يعتمد على الدين في توجهاته اليومية، فهو بمثابة العماد والركيزة الأساسية لبناء حياته، وبالتالي فهو يحقق استمرارية الكيان الإنساني من الجانب الوجداني والثقافي، الذي يستند عليه في مواجهة متغيرات الحياة.

ويقول أيضاً "وهكذا يظهر لنا من وجهة علم النفس أن العنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرف (أنا) الفرد، ثم في توجيه هذه الطاقة تبعاً لمقتضيات النشاط الخاص بهذه (الأنا) داخل المجتمع، تبعاً للنشاط المشترك الذي يؤديه المجتمع في التاريخ."[26] فالدين يساعد في تربية النفس وتهذيبها وفي تكوين شخصية الأفراد، فتنتج لديهم الطاقة النفسية التي تؤهلهم للمشاركة في النشاط الاجتماعي داخل المجتمعات، وذلك بفعل الإرادة التي تحفزهم على الحركية.

إنّ" الدين واللغة والعادات من الظواهر التي يتصل بعضها ببعض أشد الاتصال، ومن المؤكد أن اللغة تخضع في بعض ألوانها للدين والعادات، وقد يكون في صورها القديمة ما يؤثر في الدين والتقاليد، وهذه الظواهر الثلاثة تبدو مختلفة بعض الاختلاف، ولكنها عند التأمل ترجع إلى أصل واحد هو التعبير عن الخلائق الأدبية: فاللغة مظهر من مظاهر الأناقة والدقة في الافصاح، والدين صورة العقيدة التي يحبا بها الناس، والعادات مظاهر لما تأصل من كريم الشمائل والخلال"[27]، فالعلاقة بينهم تواصلية لأن الدين جمعي واجتماعي وممارسة وظيفية لدى جميع الأفراد، واللغة ناقلة له بمفرداتها ومعانيها، وتُعبِر العادات والتقاليد عن القيم الاخلاقية فتمثل الجانب الثقافي الذي تشترك فيه الجماعة، وكلها تصب في مجتمع واحد الذي يسعى إلى تحقيق سعادة الأفراد وراحتهم.

3- العلاقة التواصلية بين اللغة والدين والهوية:

فعلاقة اللغة بالدين علاقة قوية ومتينة فاللغة ارتقت بالدين، والدين دُرس وحُفظ باللغة التي أنزل بها، ومن المعلوم أيضاً أنه عندما جمعت اللغة العربية ودُوّنت، لم يعول إلا على ألفاظ القرآن الكريم، وألفاظ الشعر الصحيح، وكلام أعرق القبائل العربية، وأبعدها عن تأثير الأعاجم فيها، كقيس وتميم وهُذيل وأسد وغيرها، والقرآن هو الذي حفظ لنا أسس لساننا سليمة ولولاه لما كان من المستبعد أن يكون لكل قطر

عربي لغة خاصة هي بالنسبة إلى اللغة العربية الفصحى كالفرنسية والإيطالية والإسبانية بالنسبة إلى اللاتينية."[28]

ويتحدث قال المستشرق الألماني (نولدكه):عن العربية وعلاقتها بالدين فيقول:" إنَّ اللغة العربية لن تصِرْ حقاً عالمية إلا بسبب القرآن والإسلام، وقد وضع أمامنا علماء اللّغة العرب باجتهادهم أبنية اللّغة الكلاسيكية، وكذلك مفرداتها في حالة كمالٍ تامّ، وأنه لا بدّ أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللّغة العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جداً، ولكنهم في داخل هذه الدّائرة يرمزون للفرق الدّقيق في المعنى بكلمة خاصّةٍ، والعربيّة الكلاسيكية ليست غنيّة فقط بالمفردات ولكنّها غنية أيضاً بالصيّغ النّحوية، وتهتم العربيّة بربط الجمل ببعضها."[29]

ويضيف قائلاً:" هكذا أصبحت اللّغة (البدويّة) لغة للدّين والمنتديات وشؤون الحياة الرّفيعة، وفي شوارع المدينة، ثم أصبحت لغة المعاملات والعلوم، وإنّ كلّ مؤمن غالباً جداً ما يتلو يومياً في الصّلاة بعض أجزاء القرآن، ومعظم المسلمين يفهمون بالطبّع بعض ما يتلون أو يسمعون، وهكذا كان لا بُدّ أن يكون لهذا الكتاب من التأثير على لغة المنطقة المتسعة ما لم يكن لأيّ كتاب سواه في العالم، وكذلك يقابل لغة الدّين ولغة العلماء والرّحل العادي بكثرة، ويؤدي إلى تغيير كثير من الكلمات والتّعابير في اللغة الشّعبية إلى الصّحة"[30]، لأنها استمدت مكانتها الرفيعة من القرآن الكريم فأصبحت لغة ذات سيادة ورفعة وسمو، وزادها الاهتمام تطوراً ملحوظًا فأضحت لغة الحضارة، وشاركت في رفع الحصيلة المعرفية والإتقان العلمي، من خلال الهيمنة اللغوية بالاعتناء بالمفاهيم الاصطلاحية للعلوم في شتى المجالات العلمية.

كما يحافظ الدين على ثقافة الأمم فهو " أهم مقوم من مقوّمات أيّ ثقافة رابطة اجتماعية تصل الناس بعضهم العض، وتؤلف قلوبهم وتنظم سلوكهم فالدين هو تنزيل إلهي ومعطى سماوي، يُحتم علة الجماعات أن تؤمن به وتخضع لمبادئه، وعليه فأيّ ثقافة لا تقوم على اعتقاد ديني راسخ مآلها الزوال والاندثار، وهناك شواهد في التاريخ وسجلاته تكشف أن هناك حضارات وثقافات ماتت واندثرت نتيجة لموت واندثار الاعتقاد الديني مثل الحضارة العيلامية، والحضارة الآشورية والحضارة البابلية والحضارة الفارسية ومصر القديمة، وهذا إنّ دل على شيء إنما يدلُّ على الأهمية التي يكتسبها الدين في حياة أيّ ثقافة من الثقافات"[31]، وتمثل الثقافة مجموع القيم والمعتقدات وأنماط السلوك التي تقوم على أسس دينية واجتماعية ولغوية، والتي تُسهم في امتداد حضارات الأمم والشعوب.

فالهوية الإسلامية " تعني الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس، وهي أيضاً محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الأمم، وهي تحاول إثبات نجاحها في هذه الحياة"[32]، فالهوية الإسلامية قوية بمقوماتها الدينية والتاريخية المختلفة عن غيرها، جعلتها تحافظ على بقائها بفعل القرآن الكريم الذي عمل على تقوية اللغة العربية وبقاءها طِوال هذه الحقبة الزمنية.

" إنَّ اللغة الأم أساسية في استيعاب المعارف، بقدر ما تدخل في بناء الهوية الفردية والاجتماعية على حدٍّ سواء، ونقول بناء الهُوية لأنها في الواقع تُكتسب مع الثقافة، وتتغير وتتشكل من خلال مجابهة الفرد مع الجماعة والتماهي معها والانفلات منها، ثم العودة إليها، وإذا كانت الهُوية تقوم على هذا التفاعل المتعدد، والقائم على انخراط الفرد في مجتمعه، فإن اللغة التي هي الأداة الأول والأهمّ في عمليات التواصل والاندماج داخل المجتمع، هي الأداة الأساس لتحديد الهُوية والتعرف إلى الذات"[33]، وهكذا تكون اللغة من مقومات الاستقلال العلمي للدول فإذا حُفظت حُفظ استقلال الأمم، وذلك عن طريق التداول والاستعمال بالقراءة والكتابة والمحادثة والتأليف بها، فباللغة يتم التعليم وهنا تكون الثقافة متاحةً للأفراد، فتنتج بذلك النزعة القومية لدى الشعوب، وبعث روح فهم حياة الاستقلال اللغوي للأوطان.

إنّ علاقة اللغة بالهوية " علاقة جدلية تفاعلية إذ ليست اللغة أداة للتعبير فحسب، ولا وسيلة للتواصل بين الأفراد، ولا شأناً من شؤون العلم والثقافة والتدريس، لكنها شأن من شؤون الهوية والأمن القومي والسيادة الوطنية والاستقرار الاجتماعي والنفسي، حيث اللغة مؤلف رئيس من مؤلفات الهوية في كل بلد أو وطن أو أمة، بل الهوية مفهوم ذو دلالة لغوية واجتماعية وثقافية، يعني الإحساس بالانتماء إلى أركان الهوية التي هي الدين والثقافة والاجتماع، أما اللغة فهي الناطق الرسمي بلسان الهوية ووسيلة إدراك العالم وتصنيف المجتمعات"[34]، فالهوية صفة يتصف بها الفرد تجعله يشعر بوجوده وبفردانيته، وهي نتاج مراحل متعددة من حياته اكتسبها بفعل احتكاكه بالجماعة، ولا يتحقق هذا إلا بفعل اللغة التي وفرت له مفرداتها ودلالاتها، مما ساعد في انغماسه واندماجه في المجتمع، فأصبح فرداً اجتماعيًا يتقن فنيات الخطاب والتواصل.

كما تُعدُّ اللغة " الناطق الرسمي باسم الثقافة والموكل إليها إبراز ما تحتويه هذه الثقافة من كنوز معرفية، وبالتالي اللغة تشكل المحور الأساس الذي تلتصق به من ناحية هوية الفرد، ومن ناحية أخرى

هوية الجماعة وبين هذه وتلك هوية الدين، فاللّغة تُحدد اللسان الثقافي الذي هو بالأساس يمثل الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، وهي عامل اختلاف ثقافة عن أخرى، إضافة إلى ذلك هي أسلوب للتواصل والاحتكاك وإثبات الهوية وتأكيد وجودها"[35] ، وترتبط اللغة بالثقافة ارتباطاً وثيقاً إذا كانت " نظاماً للتواصل بين أفراد المجتمع وفقاً لاتفاق عرفي اصطلاحي"[36]، فإن الثقافة الجامع الكلي للعادات والتقاليد والممارسات للمجتمع الذي تكون فيه اللغة الأداة الناقلة لهم،" كما أن نشأة الثقافة ونموها لا يتم بدون اللغة التي تمكن الإنسان من تحقيق التعاون والاتصال مع غيره...وأن لغة أي مجتمع تعتبر مظهراً من مظاهر ثقافته، ومحاولة فصل اللغة عن الثقافة يُعدُّ عملاً منافياً لطبيعة كل منهما"[37]، لأن اللغة هي إسقاط للواقع الخاص بمجتمع معين.

وتسعى اللغة بالنهوض بالمجتمع من خلال تحقيق الأمن اللغوي والثقافي، فهي ذلك الوعاء الحامل والحاوي للثقافة ووسيلة للتفكير التي يتم الاستعانة بها في إبراز الذات والشخصية، فتكوين الهوية يُسهم في إبراز الهوية الاجتماعية، يكون فيها الفرد العنصر الفعّال في تنشيط المجتمع ودفعه نحو التقدم بفعل اللغة التي تتوسط بين الفرد ومجتمعه، " لأن السمات اللغوية هي رباط يقرن الفرد بالهويات الاجتماعية"[38]، لذلك فاللغة أداة جيدة للكشف عن هوية الأشخاص والحفاظ عليها وهذا ما أكده كولماس في قوله:" إنَّ أفعال اللغة هي أفعال الهوية"[39]، كما تبيّن أيضاً أنها ثقافة المجتمعات، فتُغيّر من مسارها وتؤثر في رقيّها وانحطاطها وفق المنهج الذي تجعله طريقاً لها.

الخاتمة:

بينت الدراسة أن اللغة هي الكيان الذي يحافظ على وجود المجتمع، من خلال التسلح بالدين والثقافة الني بدورها تمثل تاريخ الأمم والشعوب من خلال استعراض العادات والتقاليد، كما تسعى للحفاظ على الهوية العربية بالتمكن من استعمالها وتداولها في المحافل الدولية والوطنية، وذلك لإبراز الشخصية العربية، ولا يمكن فصل اللغة عن الدين والهوية وعن المجتمع، لأنها الوسيط بينهما والعلاقة بينهم جدلية وذات طابع تأثير وتأثر، فإذا ضعفت اللغة واندثرت ذهبت المجتمعات وانقرضت لأنها الحافظة للدين والعلوم والهوية، وإذا تخلى المجتمع عن لغته أصبح يعاني من الغزو العلمي والثقافي الأجنبي، وبالتالي لا وجود للهوية والدين والثقافة وأصبح تابعاً لغيره في جميع المجالات.

هوامش:

[1]: صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية،(2003)، دار هومة، (ط1)، (الجزائر)، ص42.

[2]: ينظر: المعجم الوسيط: مجموعة من المؤلفين، (1972)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر،(ط2)، (اسطنبول)، مادة لغا.

[3]: ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، (ط1)، (بيروت)، مادة لغا.

[4]: الفيروزآبادي مجد الدين أبو ظافر محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، (1301ه)، الهيئة المصرية للكتاب مطبعة الآميرية، (ط3)، مادة لغو.

[5]: ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية المكتبة العلمية، ج1، ص34.

[6]: عبد السلام أحمد شيخ: اللغويات العامة مدخل إسلامي وموضوعات مختارة، (2002)، دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، (ط3)، الجامعة الإسلامية العالمية، (ماليزيا)، ص8.

[7]: أنيس فريحة: نظريات في اللغة،(1981)، دار الكتاب اللبناني، (ط2)، (بيروت)،ص41.

[8]: عبده محمد بدوي: أهمية تعلم اللغة العربية، (1996)، حوليات كلية الآداب للنشر، (ط16)، الكويت، ص138.

[9]: عالم محمود أمين: دفاع عن الخصوصية اللغوية، سلسلة قضايا فكرية لغتنا العربية في معركة الحياة، (1998)، قضايا فكرية للنشر، الكتاب السابع والثامن عشر،(القاهرة)، ص9.

[10]: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، (2018)، دار الفكر، (ط12)، (دمشق)، ص17.

[11]: مالك بن نبي: تأملات، ترجمة عبد الصبور شاهين، (1989)،دار الفكر، (ط1)، (دمشق)، (سوريا)، ص157.

[12]: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص17.

[13]: المصدر نفسه: ص17.

[14]: حاتم عماد: في فقه اللغة وتاريخ الكتاب، (1982)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، (طرابلس ليبيا)، ص9، 10.

[15]: خرما نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، (1978)، عالم المعرفة، (الكويت)، ص187.

[16]: ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، (ط1)، (بيروت)،ج15، ص376.

[17]: المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين، (2000)، دار المشرق، (ط38)، (بيروت)، ص875.

[18]:الجرجاني السيد الشريف علي بن محمد: التعريفات،(1405ه)، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، (ط1)،(بيروت)،ج1، ص320.

[19]: المصدر نفسه: ج1، ص281.

[20]: محمد عمارة: الهوية الحضارية، مجلة الهلال، القاهرة، ، العدد 2، فبراير 1997، ص33.

[21]: اليكس ميكشللي: الهوية، ترجمة علي وطفة،(1993)، دار الوسيم للخدمات الطباعية، (ط1)، (دمشق)، ص111، 112.

[22]: زكي مبارك: اللغة والدين والتقاليد في حياة الاستقلال،(1956)، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ط1)، (مصر)، ص72.

[23]: المرجع نفسه: ص55.

[24]: المرجع نفسه: ص27.

[25]: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين: ص69.

[26]: المصدر نفسه: ص74.

[27]: زكي مبارك: اللغة والدين والتقاليد في حياة الاستقلال: ص7.

[28]: مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، (1955)، مكتبة الجامعة الأمريكية، ص7.

[29]: إيمان ريمان، وعلي درويش: بين العامية والفصحى مسألة الإزدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة والإعلام القضائي،(2008)،شركة رايتسكوب للمنشورات التقنية، ص55، نقلاً عن نذير حمدي: اللغة العربية، ص133.

[30]: المرجع نفسه، ص133.

[31]: وهيبة بوسعدية، حمودة صبرينة: الأمن الثقافي دراسة في المفهوم والمهددات، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الحادي عشر، جوان 2017، 380، 381، نقلاً عن بلغيث سلطان: دور الفضائيات العربية في تحقيق عالمية الثقافة العربية، شؤون عربية، العدد131، خريف2007، ص77.

[32]: خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، (2009)، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، (ط1)، ص45.

[33]: بسام بركة، فايز الصيّاع وأخرون: اللغة والهوية في الوطن العربي إشكالات التعليم والترجمة والمصطلح،(2013)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (ط1)، (بيروت)، ص 31

[34]: المصدر نفسه: ص82.

[35]: وهيبة بوسعدية، حمودة صبرينة: الأمن الثقافي دراسة في المفهوم والمهددات (جوان 2017) ، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الحادي عشر، ص 380، 381، نقلاً عن بلغيث سلطان: دور الفضائيات العربية في تحقيق عالمية الثقافة العربية، (خريف2007)، شؤون عربية، العدد131، ص79.

[36]: كريم زكي حسام الدين: اللغة والثقافة، دراسات أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية (2001)، دار غريب للطباعة والنشر، (ط1)، (مصر)، ص16.

[37]: المرجع نفسه: ص66.

[38]: فلوريان كولماس: دليل السوسيو لسانيات:، ترجمة خالد الأشهب، وماجدولين النهيبي، (2009)،المنظمة العربية للتربية، (ط1)، بيروت،(لبنان)، ص684.

[39]: المصدر نفسه، ص679.

قائمة المصادر والمراجع:

1- اليكس ميكشللي: الهوية، ترجمة علي وطفة،(1993)، دار الوسيم للخدمات الطباعية، (ط1)، (دمشق).

2- أنيس فريحة: نظريات في اللغة،(1981)، دار الكتاب اللبناني، (ط2)، (بيروت).

3- إيمان ريمان، وعلي درويش: بين العامية والفصحى مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة والإعلام القضائي،(2008)، شركة رايتسكوب للمنشورات التقنية، نقلاً عن نذير حمدي: اللغة العربية.

4- بسام بركة، فايز الصيّاع وأخرون: اللغة والهوية في الوطن العربي إشكالات التعليم والترجمة والمصطلح،(2013)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (ط1)، (بيروت).

5- الجرجاني السيد الشريف علي بن محمد: التعريفات،(1405هـ)، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، (ط1)،(بيروت).

6- ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية المكتبة العلمية.

7- حاتم عماد: في فقه اللغة وتاريخ الكتاب، (1982)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، (طرابلس ليبيا).

8- خرما نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، (1978)، عالم المعرفة، (الكويت).

9- خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، (2009)، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، (ط1).

10- زكي مبارك: اللغة والدين والتقاليد في حياة الاستقلال،(1956)، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (ط1)، (مصر).

11- صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية،(2003)، دار هومة، (ط1)، (الجزائر).

12- عالم محمود أمين: دفاع عن الخصوصية اللغوية، سلسلة قضايا فكرية لغتنا العربية في معركة الحياة، (1998)، قضايا فكرية للنشر، الكتاب السابع والثامن عشر،(القاهرة).

13- عبد السلام أحمد شيخ: اللغويات العامة مدخل إسلامي وموضوعات مختارة، (2002)، دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، (ط3)، الجامعة الإسلامية العالمية، (ماليزيا).

14- عبده محمد بدوي: أهمية تعلم اللغة العربية، (1996)، حوليات كلية الآداب للنشر، (ط16)، الكويت.

15- فلوريان كولماس: دليل السوسيو لسانيات:، ترجمة خالد الأشهب، وماجدولين النهيبي، (2009)،المنظمة العربية للتربية، (ط1)، بيروت،(لبنان).

16- الفيروزآبادي مجد الدين أبو ظافر محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، (1301ه)،الهيئة المصرية للكتاب مطبعة الآميرية، (ط3).

17- كريم زكي حسام الدين: اللغة والثقافة، دراسات أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية،(2001)، دار غريب للطباعة والنشر، (ط1)، مصر.

18- مالك بن نبي: تأملات، ترجمة عبد الصبور شاهين، (1989)، دار الفكر، (ط1)، (دمشق)، (سوريا).

19- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، (2018)، دار الفكر، (ط12)، (دمشق).

20- محمد عمارة: الهوية الحضارية، مجلة الهلال، القاهرة، ، العدد 2، فبراير (1997).

21- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، (1955)، مكتبة الجامعة الأمريكية.

22- المعجم الوسيط: مجموعة من المؤلفين، (1972)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر،(ط2)، (اسطنبول).

23- المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من الباحثين، (2000)، دار المشرق، (ط38)، (بيروت).

24- ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، (ط1)، (بيروت).

25- وهيبة بوسعدية، حمودة صبرينة: الأمن الثقافي دراسة في المفهوم والمهددات، (جوان 2017)، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الحادي عشر، نقلاً عن بلغيث سلطان: دور الفضائيات العربية في تحقيق عالمية الثقافة العربية، خريف200، شؤون عربية، العدد131.